اجتهادات
المقاومةُ المسلحة

المقاومة الوطنية المسلحة ليست مجرد واحدة من صور القتال الذى عرفه البشر منذ فجر التاريخ، سواء لتحقيق مصالح، أو لإعلاء شأن كيان ما من القبيلة إلى الإمبراطورية والدولة. كان القتال لفترةٍ طويلةٍ فى التاريخ بمبادرةٍ من طرف يسعى إلى التغلب والسيطرة. واعتبره بعض المُفكرين ضروريًا، بل طبيعيا بدعوى أن البشر مفطورون على الصراع، أو لأن الصراع هو المُحرَّك الأساسى للعالم. هكذا رآه مثلاً الفيلسوف اليونانى هيراقليطس فى القرن السادس عشر ق.م.

المقاومة المسلحة ضد الاستعمار, على العكس, ليست اختيارًا بل اضطرارًا عندما تُغلقُ الطرق لتحقيق الاستقلال بواسطة مقاومة سلمية أو مدنية. كما أنها رد فعل على عنف قوات الاحتلال. وهل هناك عنفُ أكثر

إجرامًا وإيذاءً من ذلك الذى يُمارسُ فى حق شعوبٍ محتلة أراضيها ومهدورة كرامتها؟

وهذا هو مصدرُ مشروعية المقاومة المسلحة التى تُعد، والحال هكذا، حقًا مُكملاً للحق فى تقرير المصير. وأجازتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارات عدة، خلال مرحلة تصفية الاستعمار. فهى حقُ طبيعى لأنها ردُ لا بديل عنه على عنف إجرامى. فالعنف يُوَّلد العنف، وفى قولٍ آخر لا يُنتجُ إلا العنف. وما أدراك ما عنف الصهاينة الأكثر إجرامًا فى التاريخ الحديث .. عنفُ لا تُجدى فى مواجهته مقاومةُ غير عنيفة على طريقة المهاتما غاندى مثلاً، أو نظرية المفكر الفرنسى جان-مارى مُلر التى استلهمها من التجربة الهندية، وأصَّل فيها فكرة اللاعنف المُقاوم الذى يعتمد على المقاطعة والاحتجاج بمختلف أشكاله تظاهرًا وإضرابًا واعتصامًا. فالوسائلُ غير العنيفة يمكن أن تتوازى مع المقاومة المسلحة وتكملها، ولكن يصعب أن تكون بديلاً عنها فى كل الحالات، وخاصةً فى الحالة الفلسطينية، حيث الاحتلال استيطانى توسعى وشديد الهمجية. ولهذا كانت

المقاومة المسلحة ضروريةً منذ بدء قوات العاصفة نضالها فى مطلع 1965 بُعيد تأسيس حركة فتح.
وأصبحت أكثر من ضرورية بعد أن عمد الصهاينةُ فى اتفاق أوسلو إلى تغيير نمط الاحتلال من الوجود العسكرى المباشر فى قلب المناطق المحتلة إلى الهيمنة عليها من بُعد، وكرَّسوا هذا التغيير بعد اندحارهم الأول من غزة عام 2005.